الباب الخامس

التنفذ

الفصل الأول : استكفاء الأمناء

الفصل الثاني : تولية الأمراء واتخاذ الأعوان

الفصل الثالث : تولية القضاء

الفصل الرابع : إسناد المهام لأمراء الأجناد (الجيش)

الفصل الخامس : تلاحم الأمة والأمير

الفصل الأول

استكفاء الأمناء

ومن مهام الأمير استكفاء الأمناء ، وتقليد الصلحاء ، لتكون الأعمال بالكفاية : ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٥ـ٢٦] ، ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] .

فكل عمل يقوم به الإنسان في الدنيا له أجر في الدنيا وآخر في الآخرة ، فلا يصلح للعمل إلا من تتوفر فيه الشروط التالية :

١ـ قوي في علمه وخبرته ، قوي في جسمه حسب حاجة العمل للقوة العلمية أو الجسمية أو أي نوع من القوة حسب الحال .

٢ـ الأمانة لأن الرسول عليه السلام يقول : « ألا لا إيمان لمن لا أمانة له »[1] ، والأمانة هي التي تُمَيِّزُ الإنسان عن جميع المخلوقات إذ هو حملها وأشفقن منها ، يقول تعالىٰ مبيناً عظمة حمل الأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، والأمانة هي الحفاظ علىٰ العهد الذي عاهد الإنسان ربه عليه . فالنفس أمانة ، والجسم أمانة ، والزوجة أمانة ، والأولاد أمانة ،

---

(١) « مشكاة المصابيح » ١/ ٣٥ .

والعلم الذي تعلمه الإنسان أمانة و. . . إلخ . وعلىٰ من أؤتمن أن يقوم بحق الأداء ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء : ٥٨] ، فالنظر أمانة يجب أن لا يستخدم إلا فيما خصص له ، واللسان أمانة : فلا يتحرك إلا فيما خصص له ، من صادق القول ، وفصل المقال ، والنطق بالحق ، . . . وهكذا فمن لا أمان له لا يصلح لشيء ، لأنه ليس أهلاً ليكون مؤمناً .

ويوسف عليه السلام قال للملك : « إني حفيظ عليم » أي أمين علىٰ ما استُحفِظتُ عليه من أموال . وعليمٌ بأصول المهنة كيف تخزن المواد ، وكيف توزع ، وقواعد ذلك بإقامة العدل ودليل ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ﴾ [يوسف : ٥٨] ، فلما جاؤوا دخلوا لأن النظام دقيق في استلام البضائع والأموال والأرزاق . . وعرفهم لأنه حفيظ لأصول التوزيع ، وعليم بمن يستحق ، وعليم بحاجتهم وعليم بأنهم أخوته ، فلا ارتباك ولا فوضىٰ ـ وهكذا لا بد للأمير من استكفاء الأمناء وأصحاب الخبرة علىٰ مصالح الأمة ، أهل الخبرة بالعمل وأصحاب العلم بالقواعد والأصول (الخبرة بالدقائق) وهذا واجب علىٰ كل من استعمل علىٰ عمل من أعمال المسلمين ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] لقد بيَّن الله لهم سبب اختياره لهم : لديه بسطة في العلم والجسم ، وأن مغريات الرشوة سوف تعرض علىٰ عمال الأمير وهنا دور الأمانة .

وفي الحديث عن أبي حميد الساعدي قال : « استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللُّتْبية علىٰ الصدقة ، فلما قدم ، قال : هذا لكم ، وهذا أهدي لي . فخطب النبي ﷺ فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد فإني أستعمل رجلاً منكم علىٰ أمور مما ولاني الله ، فيأتي أحدكم فيقول : هذا لكم ، وهذه هدية أهديت لي ، فهلا جلس في بيت أبيه أو

بيت أمه فينظر أيهدىٰ له أم لا ، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيء إلا جاء يوم القيامة يحمله علىٰ رقبته إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقراً له خوار ، أو شاة تعير » ، ثم رفع يديه حتىٰ رأينا حفرتي إبطيه ، ثم قال : « اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت »[1] .

* * *

(١) متفق عليه « مشكاة المصابيح » ١/ ١٧٧٩ .

الفصل الثاني

تولية الأمراء واتخاذ الأعوان

قضت السنة المطهرة بأن يولي رسول الله ﷺ الأنفع للمسلمين ولو وجد الأفضل منه حسب الحال ، ففي إمارة الجند فقد ولىٰ خالد بن الوليد من حين أسلم مع تأخره في الإسلام علىٰ كثير من الصحابة السابقين من المهاجرين والأنصار ، أمثال عبد الرحمن بن عوف وسالم مولىٰ أبي حذيفة وعبد الله بن عمر مع سبقهم ، وأنهم ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل ، وهم حسب النص : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد : ١٠] ، وخالد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ممن آمن بعد صلح الحديبية الذي عقد سنة ٦هـ ، وعكرمة آمن بعد فتح مكة ٨هـ . . إلخ . ثم إن خالد عمل مع بني خزيمة ما تبرأ منه رسول الله حيث رفع رسول الله ﷺ يديه إلىٰ السماء يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد[1] : عندما قاتلهم يوم فتح مكة دون أذن من رسول الله ﷺ ، ومع هذا لم يعزله ، بل علىٰ العكس جاء الوحي مؤيداً لعمله ولذا سماه رسول الله : سيف الله منذ أخذ الراية في مؤتة ٧هـ ، ومن طرف آخر فإن أبا ذر الغفاري كان من السابقين في الإسلام ، ومع هذا فقد قال له

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٩٧٦ .

رسول الله بعد أن طلب منه أن يوليه : « يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً فلا تأمرن اثنين ولا تلين مال يتيم »[1] ، فلم يرضَ له رسول الله ﷺ أن يكون عريفاً علىٰ اثنين أو يكون وصياً علىٰ مال يتيم (لا للإمارة ولا للإدارة) . وأمَّر عليه السلام عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل ، لأنه كان يقصد أخواله بني عذرة ، فعلم أنهم يطيعونه ما لا يطيعون غيره لقرابته ولحسن سياسة عمرو وخبرته ودهائه (جودة الرأي والأدب) فقد كان أحد دهاة العرب . أردفه بأبي عبيدة بن الجراح وقال لهما : « تطاوعا ولا تختلفا » ، فلما تنازعا فيمن يصلي بالمسلمين ، سلم أبو عبيدة ، وهو أقدم إسلاماً منه ، وهو أمين هذه الأمة[2] لعمرو بن العاص فكان يصلي بالطائفتين وفيهما أبو بكر الصديق .

وأمر أسامة بن زيد لمكانة أبيه لأنه مع كونه خليقاً بالإمارة فهو أحرص علىٰ الثأر لأبيه الذي استشهد في غزوة مؤتة مع الروم ، وقدم أباه زيد في الولاية مع أنه مولىٰ ، علىٰ جعفر بن أبي طالب مع كونه ابن عمه ، ولكنه أسبق الناس إسلاماً ولم يلتفت إلىٰ طعن الناس في إمارة أسامة وزيد وقال : « إن تطعنوا في إمارة أسامة فقد طعنتم في إمارة أبيه زيد من قبل ، وأيم الله إنه كان خليقاً للإمارة ومن أحب الناس إليَّ »[3] . وأمَّر خالد بن سعيد بن العاص وإخوته لأنهم من كبراء قريش وسادتهم ومن السابقين الأولين .

ـ ومن هديه ﷺ تولية الأنفع للمسلمين وإن وجد من هو أفضل منه ، فيعين للقضاء والحكم بما يظهر الحق ويوضحه . يقول أمير المؤمنين

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٦٨٢ .
(٢) « البداية والنهاية » ٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .
(٣) « مشكاة المصابيح » ٣/ ٦١٤١ .

عمر بن الخطاب « ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه ، إلا من أمر بالعدل ، وقضىٰ بالحق ، ولم يقضِ علىٰ هوىٰ ولا قرابة ولا عن رغب ولا رهب ، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه » . ويقول عليه الصلاة والسلام : « ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن نواصيهم كانت معلقة بالثريا يتجلجلون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملاً »[1] .

والشروط الواجب توفرها فيمن يوليه الأمير إدارة مصر من الأمصار هي :

١ـ حسن الخلق القائم علىٰ الصبر الذي يدفع لتحمل جهالة الجهال ، وكظم الغيظ ، وكف الأذىٰ .

٢ـ علم بالشرع والتزام به تطبيقاً .

٣ـ سلامة الاعتقاد وحسن السيرة .

٤ـ الأمانة حتىٰ لا يخون فيما اؤتمن عليه ، ولا يغش فيما استنصح عليه ، فلا يمتلكه طمع (وهو طلب ما عند غيره) ، وهو من أسوأ الأخلاق بعد البخل ، ومن له صفة الطمع لا يجوز أن يكون في موقع المسؤولية ، لأنه غير قادر علىٰ تحمل أعباء إدارة الأمور وكسب ثقة الرعية والأمير ، يقول رسول الله عليه السلام : « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا »[2] فكيف بالطمع الذي أدهىٰ وأمر .

٥ـ صدق اللهجة ويشمل صدق القول : ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء : ٨٤] ، وصدق العمل ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩] ، ومدخل ومخرج صدق ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٣/ ٣٦٩٨ .

(٢) « مختارات الأحاديث » ص٥ .

مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠] ، والصدق هو ما يميز أهل الحق عن أهل النفاق ، وهو من الأعمال الظاهرة الباطنة وهو أساس الإيمان ولا ينفع غيره : ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٢٤] ، والصدق في القول استواء اللسان فيما حدث وجرىٰ ، والصدق في الأفعال مطابقة القول والعمل ، وعلامته اطمئنان القلب .

٦ـ العدل الذي يقوم علىٰ التوسط بين الإفراط والتفريط .

٧ـ التواضع : وهو خفض الجناح ولين الجانب ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٥] وفي الحديث « من تواضع لله رفعه »[1] ومن الذلول اللين والتواضع : وهو الذي يمشي مع الأرملة والمسكين في حوائجهما ويبدأ من لقيه بالسلام خاضع للحق ويتقبله من أي جهة جاء .

٨ـ قلة الطمع حتىٰ لا يرتشي فيما ولي ولا ينخدع فيتساهل ، لأن الإيمان عفة عن المطامع ، عفة عن المحارم (والإيمان قيد الفتك ، ولا يفتك مؤمن)[2] ، فالعفة تدفع لاجتناب الرذائل والقبائح (كالطمع وغيره) .

٩ـ أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة تصدر عن التناصف وتمنع من التعاطف .

١٠ـ وكذلك يكون سالماً من الشحناء . هذه صفات الحليم والحلم سيد الأخلاق ، وكاد الحليم أن يكون نبياً ، وهذه الصفات لا تكون إلا في إنسان سخي وسموح ، فالسخاء يغطي كل عيب . فيكون إنسان يتقلب بين العدل والإحسان ، فالعدل يأخذ ويعطي بالحق ، أما إذا انتقل للإحسان فهو عطاء فوق الحق .

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٣/ ٥١١٩ .

(٢) البخاري في « التاريخ الكبير » . ٣/ ٣٥٤٨

١١ـ له صفة العلم والحلم « خيار الناس من أوتي العلم والحلم ، وشرارهم من أعدمهما ، والثالث من أوتي علم دون حلم ، والرابع من أوتي حلم بغير علم »[١] فالعلم مربوط بالدين (الفقه والشريعة) وبالأخلاق الفاضلة « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[٢] والعمل مربوط بالإيمان : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، والعلم هو إدراك الشيء علىٰ حقيقته ، والمعرفة إحاطة بعين الشيء .

فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله ، وضده الطيش والعجلة والحدة والتسرع وعدم الثبات ، فالحليم لا تستفزه البداوات ولا يستخفه الذين لا يعلمون ، ولا يقلقه أهل الطيش والخفة والجهل ، بل هو وقور ثابت ذو أناة ، يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور ولا تملكه أوائلها ، وملاحظته للعواقب تمنعه أن تستخفه دواعي الغضب والشهوة ، فبالعلم تتكشف له مواقع الخير والشر والصلاح والفساد ، وبالحلم يتمكن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره ويصبر عليه .

١٢ـ الذكاء : حتىٰ لا تندلس عليه الأمور فتشتبه ، ولا تموه فتلتبس ، فلا يصح مع اشتباهها عزم ، ولا يفيد مع التباسها حزم يقول وزير المأمون يزداد محمد :

إصابة معنىٰ المرء روح كلامه فإذا أخطأ المعنىٰ فذاك موات
إذا غاب قلب المرء عن حسن لفظه فيقظته للعالمين سبات[٣]

فالوصول للحق يحتاج إلىٰ ذكاء بقدر ما يحتاج إلىٰ الإخلاص ، ويعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال .

---

(١) « البداية والنهاية » ٤/ ٢٠٠ .
(٢) البخاري في « التاريخ الكبير » ٣/ ٥٧٧٠ .
(٣) « الأحكام السلطانية » ١٤ .

١٣ـ أن لا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوىٰ عن الحق إلىٰ الباطل ، ويلبس عليه المحق من المبطل : « حبك الشيء يعمي ويصم »[١] فإن الهوىٰ خادع الألباب وصارف عن الصواب ، حتىٰ لو كان الهوىٰ في الله فقد عاتب رب العزة أميراً أمره علىٰ خلقه فكان هواه في اه هو الذي شغله عن الوصول إلىٰ الحق فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ ﴾ [ص : ٢٦] فسبيل الله هو الحق ونبي الله قد حكم بين المتخاصمين بالهوىٰ دون تروٍ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص : ٢٤] .

١٤ـ أن يكون ورعاً سجيته العدل ويعمل علىٰ توخيه في كل أمر من أموره : العلاء بن زياد أخو بني عدي استعمل صديقاً علىٰ عمل فكتب إليه : أما بعد ، فإن استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف ، وبطنك خميص ، وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم ، فإنك إن فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [الشورىٰ : ٤٢] .

١٥ـ ذَكُوراً لما يؤديه للخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه : « من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ثبت الله تعالىٰ قدميه علىٰ الصراط يوم القيامة »[٢] .

١٦ـ عالم بكتاب الله ، وحافظ ، له فقه في الشريعة وعلومها . إن نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بعسفان في موسم الحج وكان قد استعمله علىٰ مكة فسأله عمر : من استعملت علىٰ أهل

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٨٢٠٩ .

(٢) راه الطبراني عن أبي الدرداء في « مختارات الأحاديث » .

الوادي ؟ قال : ابن أبزة . فقال عمر : وما ابن أبزة (لم يعرف هذا الرجل) قال : يا أمير المؤمنين رجل من موالينا . فقال عمر : استخلفت عليهم مولىٰ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض ، قاضٍ . فقال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قال : إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين[1] .

وكتب المأمون في اختيار وزير : التمست رجلاً جامعاً لخصال الخير ذا عفة في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب . إن اؤتمن علىٰ الأسرار قام بها . وإن قلد مهام الأمور قام فيها . يسكته الحلم ، وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، إن أُحسن إليه شكر ، وإن ابتُلي بالإساءة صبر ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه[2] .

وكتب عمر بن الخطاب لأهل الكوفة : قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعد الله علىٰ نفسي[3] : وهذا يعني أن يذكر الأمير إلىٰ أهل المصر الذي أرسل إليهم مناقب الأمير ويأمرهم بالسمع والطاعة له .

* * *

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٢١١٩ .
(٢) « الأحكام السلطانية » ص .
(٣) « البداية والنهاية » ٤/ ١٤٤ .

الفصل الثالث

تولية القضاء

ـ إن الخليفة يعين القضاة وهو مسؤول عنهم . ويشترط في القاضي ما يشترط لأهل الرأي وأهل الفقه والأراء بالإضافة للفطنة :

العدل :

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [النساء : ٥٨] ، ويقول عليه السلام : « يؤتىٰ بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقىٰ من شدة العذاب ما يتمنىٰ لو أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط »[١] ، ويقول : « القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة ، رجل عرف الحق فقضىٰ به فهو في الجنة ، ورجل قضىٰ بين الناس بالجهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق فجار فهو في النار »[٢] .

كتاب عمر في القضاء :

إن وصية عمر بن الخطاب لأبي موسىٰ الأشعري (عبد الله بن قيس) في القضاء قد شملت الأسس الواجب اتباعها في القضاء ودور القاضي ، وهي كما يلي :

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٧٤٠ .

(٢) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٧٣٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر أمير المؤنين إلىٰ عبد الله بن قيس ، السلام عليك :

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أُدلي إليك وأنفذ إذا تبيَّن لك فإنه لا ينفع حق لا نفاذ له . آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك ، حتىٰ لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة علىٰ من ادعىٰ واليمين علىٰ من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ، ومن ادعىٰ حقاً غائباً أو بينة أعجزه ذلك استحلت عليه القضية .

فإن ذلك أبلغ في العذر ، وأجلىٰ للعماء ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم وراجعت فيه رأيك فهديت لرشدك أن تراجع فيه الحق . فإن الحق قديم لا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، والمسلمون عدول بعضهم علىٰ بعض إلا مجرباً علىٰ شهادة زور ، أو مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو قرابة ، فإن الله تولىٰ من العباد الأسرار وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان . ثم الفهم لما أدلي إليك مما ورد عليك بما ليس في قرآن ولا سنة ، ثم قايس الأمور عند ذلك ، وأعرف الأمثال ، ثم أعمد فيما ترىٰ إلىٰ أحبها إلىٰ الله ، وأشبهها بالحق ، وإياك والغضب والقلق والضجر والتآذي بالناس ، والتنكر عند الخصومة أو الخصوم (شك أبو عبد) فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته في الحق ولو علىٰ نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله . فإن الله تعالىٰ لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً . فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله »[1] .

---

(١) قال سفيان بن عيينة أثبت سعد بن أبي بردة فسألته عن رسل عمر بن الخطاب التي كان=

لقد بينت الوصية أهمية القضاء ومهمة القاضي وطريقة عمله وجدِّه علىٰ تنفيذ الأحكام ، ودوره في مواجهة الخصوم .

وقواعد إثبات الحق ـ البينة ـ اليمين ـ إمهال الخصم لأحضار البينات ـ عدم التسرع في الحكم ـ إمكانية إعادة النظر في الحكم المبتوت إذا ظهرت أدلة أو نص أو فهم مغاير ـ عدالة الشهود ـ وأن المسلمون عدول ـ ومتىٰ لا يكون الشاهد عدلاً ؟ إذا ثبت عليه شهادة زور ، أو ظنين في ولاء أو قرابة أو مجلوداً في حد ـ فهم المشكلة ـ وطلب النصوص من الشرع لأجل القياس ـ ثقافة القاضي (معرفة الأشباه ـ الأمثال ـ علم القياس ـ معرفة النصوص) ـ يجب أن يكون العدل أصيلاً في القاضي لأنه قد يحكم بالعدل ولا يكون عادلاً ـ وطلب الأجر من الله .

وقد يقوم الأمير أو القاضي في يوم معين من الأسبوع بالتعرض للناس في مجلس عام يستمع إلىٰ الخصومات : فقد خرج عمر بن عبد العزيز إلىٰ الصلاة ذات يوم فصادفه رجل جاء من اليمن متظلماً فأنشده :

تدعون حيراناً مظلوماً ببابكم فقد أتاك بعيد الدار مظلوم

فقال : ما ظلامتك ؟ قال : غصبني الوليد بن عبد الملك ضيعني! فقال : يا مزاحم آتني بدفتر الصوافي ـ فوجد فيه أصفىٰ عبد الله وليد بن عبد الملك ضيعة فلان فقال : أخرجها من الدفتر وليكتب برد ضيعته إليه ، ويطلق له ضعف نفقته[1] .

وحكي عن موسىٰ الهادي أنه جلس يوماً للمظالم وعمارة بن حمزة قائم علىٰ رأسه وله منزلة ، فحضر رجل من جملة المتظلمين يدعي أن

= يكتبها إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري وكان أبو موسىٰ قد أوصىٰ إلىٰ أبي برده (حديث أبو العوم) .

(١) « الأحكام السلطانية » ٨٢ .

عمارة غُصب ضيعة له ، فأمره الهادي بالجلوس معه للمحاكمة . فقال : يا أمير المؤمنين . إن كانت الضيعة له فما أعارضه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له وما أبيع موضعي من مجلس أمير المؤمنين[1] .

ـ وقد اختبر رسول الله ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن « بم تحكم ؟» قال : بكتاب الله قال فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي فقال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله » .

ـ وقلد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قضاء اليمن ولم يختبره لعلمه به ، ولكنه أوصاه تنبيهاً على وجهة القضاء فقال : « إذا حضر خصمان بين يديك فلا تقضي لأحدهما حتى تسمع كلام الآخر » قال علي رضي الله عنه : فما أشكلت علي قضاة بعدها .

* * *

(١) « الأحكام السلطانية » ٩٠ .

الفصل الرابع

إسناد المهام لأمراء الأجناد (الجيش)

إن الأمير خليفة المسلمين هو الذي بايعته الأمة ، فهو الذي يعين الأمراء ويستبدلهم ويعزلهم ، ولا ولاء للأجناد إلا له ، وإطاعة الجنود لأميرهم هي طاعة لأمير المؤمنين « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصىٰ أميري قد عصاني »[1] ، وإذا كلف أحدٌ بإمارة الجيش لمهمة ما وانتهت مهمته عاد إلىٰ صفوف الأفراد والأمة ـ كان خالد بن الوليد أميراً علىٰ أجناد العراق وكان كذلك في معركة اليرموك وقد حقق للإسلام بوجوده فتوحات وانتصارات . وبعد أن عزله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، عاد فرداً بإمرة قائد كان عنده مرؤوس ، وكان هو أميره (أبو عبيدة بن الجراح) ، لأنه لا يوجد لإنسان لوحده دور في صنع النصر . إن النصر هدية من عند الله ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٢٦] ، يعطيه لمن يشاء بالوقت الذي يشاء ، وعلىٰ جميع الأمة طلب النصر من عند الله ، فالخليفة يطلبه بأسبابه وأمير الجند يطلبه بأسبابه ، وكذلك باقي الأمة كلها علىٰ قلب رجل واحد تطلب النصر . انظر عمر بن الخطاب وهو علىٰ المنبر في يوم الجمعة يخطب بالمسلمين

---

(١) « الأحكام السلطانية » كتاب الجهاد .

ويتكلم بصوت مسموع خارج موضوع الخطبة « يا سارية الجبل الجبل »[1] إنه مع سارية بن زُنَيم قائد الجيش الذي يفتح إقليم الجبل (شمال شرق العراق) في كل أفكاره وكيانه ، وسارية مع أمير المؤمنين في كل كيانه ينتظر توجيهاته فتأتيه علىٰ الهواء مباشرة فيتقبلها وينفذها . ـ والمسلمون كتلة واحدة متراحمة كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ فيه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ . فعلام يفخر الإنسان بأمور ليس له فيها أدنىٰ دخل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] والمسلمون لهم ريح ورائحة يشمها الأعداء من مسيرة شهر يقول عليه السلام : « نصرتُ بالرعب مسيرة شهر »[2] ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] فتنازع المسلمين يذهب هذه الريح فهم أمة واحدة هدفهم واحد رضاء رب العالمين ، ومهمتهم إقامة الخلافة بالأرض .

وأمير الأمة هو الذي يتولىٰ قيادة الجيش وإدارة المعركة بنفسه ، وقد يعهد لأحد الذين يتوسم فيه الصلاح والخبرة والحنكة بذلك ، إذا لم تكن لديه ظروف مواتية لقيادة الجيش ومنازلة الأعداء بنفسه وعند الاختيار لهذه المهمة فالمستوىٰ الإيماني والقدرة علىٰ نكاية العدو هما العنصران الأهم ، وصفات أخرىٰ تتعلق بأصول القيادة ، والقدرة علىٰ استيعاب الجند ، يضعها الأمير في حسابه . وتكون المهمة المسندة لغزوة أو لعدة غزوات ، وقد تسند المهمة بداءةً من إعلان التعبئة إلىٰ نهاية المعركة . وقد تسند المهمة والقوات في أرض المعركة كما أسندت لأبي عبيدة أثناء فتح دمشق .

وعند إسناد المهمة للأمير يزوده بتوجيهاته ، فقد كان الرسول عليه

---

(١) « البداية والنهاية » ٧/ ١٣٠ .

(٢) « مشكاة المصابيح » ٣/ ٥١٣٨ .

الصلاة والسلام إذا بعث أميراً بمهمة أوصاه في نفسه بتقوىٰ الله وبحق من معه من المسلمين خيراً ويقول : اغزوا باسم الله ، في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلىٰ ثلاث خصال فأيَّتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم :

آ ـ ادعهم إلىٰ الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلىٰ التحول من دارهم إلىٰ دار المهاجرين ، وأعلمهم إن هم فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم فإن أبوا واختاروا دارهم ، فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المؤمنين يجري عليهم حكم الله الذي يجري علىٰ المؤمنين ولا يكون لهم من الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين .

ب ـ فإن هم أبوا فادعهم لإعطاء الجزية فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم .

ج ـ فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم[1] .

فالذي تسند إليه المهمة عند التعبئة يكون مسؤولاً عن تحرك الجيش ـ حيث يتفقد الجاهزية القتالية للقوات ـ ويعرف العرفاء ويراعي أحوال المقاتلين متطوعين لهم ديوان وهم أهل فيء ـ أو الاحتياط الخارجون عن الديوان وهم أهل الخمس ـ الراجلون والفرسان . ثم يصنفهم فيخرج منهم المرجفين والمخذلين وغير المؤمنين بالنجاح والنصر ومن ثقتهم بالله ضعيفة ـ وغير اللائقين لأسباب مختلفة . ـ ثم يضع لهم شعار (كلمة سر) يتداعون بها . ـ ولا يوجِدْ علاقات خاصة إيجابية مع قرابة أو مؤيد لأفكاره ولا علاقة خاصة سلبية لمعادي مذهبه ولمن خالف رأيه . ـ يؤمن

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٩٢٩ .

حماية التحرك فيكون بعيداً عن أعين الأعداء ، ويرسل العيون ليعلم تحركات العدو ويبني قاعدة استطلاعية تحيط بالموقف من جوانبه ومراحله وبجميع الوسائل .

وفي إعلان الحرب لا بد للأمير أن يأخذ بعين الاعتبار من بلغتهم الدعوة أم لا ، وهو مخير بالهجوم ليلاً أو نهاراً ولكن بعد الإعلان ، فلا مباغتة ولا غدر « كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد ، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضىٰ الأمد غزاهم فإذا شيخ علىٰ دابته يقول : الله أكبر الله أكبر . وفاء لا غدر إن رسول الله ﷺ قال : « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتىٰ ينقضي أحدها أو ينبذ إليهم علىٰ سواء »[1] فبلغ ذلك معاوية فرجع فإذا بالشيخ عمرو بن عبيد[2] .

ـ وفي القتال : لا يقطع شجراً أو يقتل حيواناً إلا لمأكلة ـ ولا يقطع الماء عنهم وإذا استسقىٰ منهم أحد يمكن سقيه أو منعه ـ ومن قتل من الأعداء واراه عن الأنظار « انتهىٰ سلمان الفارسي إلىٰ حصن أو مدينة فقال دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم فقال لهم : إني كنت رجلاً منكم فهداني الله عزَّ وجل للإسلام فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون وإن أبيتم نابذناكم علىٰ سواء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله »[3] .

ـ وفي القتال لا تطاول ولا بغي وإذا طلب من الأمير سؤال فليجب .

---

(١) « البداية والنهاية » ٧/ ١٤٠ .

(٢) الترمذي وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبه .

(٣) « البداية والنهاية » ٧/ ١٧١ رواه الإمام أحمد عن ابن البختري .

لقد طلب (جرجة) قائد أحد جيوش الروم في اليرموك من خالد بن الوليد أن يسأله عدة أسئلة فأجابه خالد ثم أسلم جرجة والتحق بجيش المسلمين[1] .

فأعداء الله يخرجوا للحرب أشراً وبطراً ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال : ٤٧] والمسلمون يعرفون أن الله إذا نصرهم فليس لقوتهم وإنما لنصرتهم لدينه ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧]ـ وتنجلي المعركة فليسوا سواء شهداء في الجنة وقتلىٰ في النار ، وإنما نبغي منكم إحدىٰ الحسنيين .

أ ـ أن ينصرنا الله .

ب ـ أو نستشهد فيكون النعيم . والأسرىٰ إما منٌّ وإما فداء فلا يقتل النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا غير المشاركين في الحرب .

واجبات أمير الجند (الجيش) :

وعلىٰ العموم يهتم أمير الجند :

١ـ بسلامة جنده ، وحمايتم من غرة عدوهم كل ذلك هاجس له .

٢ـ استمرار إمدادهم باللوزام والعتاد والتموين والسلاح والذخيرة .

٣ـ والتعاون مع أهل رأي في المشورة .

٤ـ تقييم المراحل الماضية وتحديد الإيجابيات والسلبيات .

٥ـ وإسناد مهام جديدة تغطي الاستفادة مما حصل .

٦ـ وإرسال الرسل للأمير لإطلاعه علىٰ الموقف وبيان ما أفاء الله علىٰ المسلمين ، ولأخذ توجيهات جديدة .

٧ـ ولا ينسىٰ دوماً أخذ الجند بما أمر الله من حقوق أو حدود . فلا يُمَكّن أحد من تعاطي تجارة أو صناعة أو أي عمل خارج مهام الجهاد .

---

(١) « البداية والنهاية » ٧/ ١١ .

حق الأمير علىٰ جنده :

ـ ما يلزم به الجند المجاهدين :

١ـ يلزمهم بحق الله .

٢ـ المصابرة ونصرة دين الله فلا غلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

٣ـ ومعاملة الجميع بالعدل .

واجبات الجند :

ولأمير الجند حق علىٰ الأفراد المجاهدين :

١ـ الالتزام بطاعته من بدء المهمة للنهاية وبما لا يخالف الشرع .

٢ـ ويفوضوا له فيما يأمر .

٣ـ وإذا استشارهم فلا يختلف هديهم .

٤ـ والرضا بما قسم بينهم من مهام أو غنائم .

٥ـ ومصابرة الأمير مهما طال قتال أو حصار العدو . « يقول عبد الله بن عمر : أرتج علينا الثلج في أذربيجان فبتنا نقصر الصلاة ستة أشهر »[1] أي مصابرين محاصرين بالثلوج ستة أشهر وهم قوم لا يرون الثلج إلا نادراً .

وبانتهاء المهمة : إما أن يسلم القوم فيكتب الأجر ـ ويظفروا فالغنائم والنصر ـ أو أن يسأل العدو الأمان والمهادنة لمدة . أو الموادعة بالمال .

ـ وإجارة من يستجير من الأعداء حتىٰ يسمع كلام الله . والإجارة حق

---

(١) « البداية والنهاية » ٧/ ١٢١ .

لكل مسلم أو مسلمة يعطيه للعدو « أجرنا من أجرت يا أم هانىء » قال رسول الله لأم هانىء .

بعث رسول الله ﷺ سرية عليها خالد بن الوليد وعمار بن ياسر فساروا قبل القوم الذين يريدون فلما بلغوا قريباً منهم عرسوا ، وأتاهم ذو العينين فأخبرهم فأصبحوا وقد هربوا غير رجل واحد أمر أهله فجمعوا متاعهم ، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر ، فأتاه فقال : يا أبا اليقظان إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قومي لما سمعوا بكم هربوا وإني بقيت ، فهل إسلامي نافعي غداً . . وإلا هربت .

قال عمار : بل هو ينفعك ، فأقم ، فأقام ، فلما أصبحوا ، أغار خالد فلم يجد أحداً غير الرجل فأخذه وأخذ ماله . فبلغ عمار الخبر ، فقال : خل عن الرجل فإنه قد أسلم وإنه في أمان مني . . وارتفعا إلى النبي ﷺ فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير .

ـ إذا نقضوا العهد : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾[التوبة: ١٢] .

* * *

الفصل الخامس

تلاحم الأمة والأمير
يد واحدة وخطوة خطوة

إن وضوح صورة الإسلام في دولة الإسلام مرتبط بمستوىٰ الالتزام الإيماني لجميع أفراد الأمة وتمسكهم بالكتاب والسنة ، وتهتز الصور وتصبح مشوهة كلما خف هذا الالتزام :

إن مشكلة ارتباط الرعية بالحاكم ومرونة الولاء ضعفاً أو متانة ليست في بعد الأفراد عن الالتزام بالإسلام فقط بل في دخول مفاهيم تحديث تسللت إلىٰ النفوس علىٰ غفلة من الحاكم : فالتغريب ومفاهيمة لا تفتأ تقتحم حمانا وثقافتنا وتفرض علىٰ شباب أمتنا لإفقادنا هويتنا وتشكيكنا بعقيدتنا ، وتحطيم نفسيتنا ، وشل تفكيرنا لنبقىٰ حيارىٰ أولاً : ومحبطين ثانياً بما تنشر من شكوك وأوهام وأكاذيب مستغلة وسائل الإعلام المتطورة ، فلا نملك بعدها إلا أن نقول كما قال الصديق يوسف عليه السلام عندما نصبت حوله الشباك وخاف علىٰ نفسه ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] وقوله ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف : ٣٣] ومن هذه المفاهيم التي دخلت علينا لتفسد علينا حياتنا وعقيدتنا .

ـ الانتماءات خارج أمة الإسلام .

ـ البعد عن لغتنا العربية بحجة صعوبة قواعدها والبحث عن الحداثة .

ـ عقم تطبيق الشريعة الإسلامية ، كونها لا تستطيع تغطية مستجدات ومعطيات العصر لأنها تتعامل مع الغيبيات والمطلوب التوجه العلمي .

ـ والدين ليس إلا تراث الماضي فحسب .

ـ وليس لديهم دليل علىٰ ما يدعون إلا كثرة الاجترار فيها للإيحاء والتأكيد أنها حقائق علمية يجب اعتبارها من المسلمات .

ـ أما دليلينا علىٰ دجلهم فيكفي ما يعترفون به من حالة الضياع التي يتخبطون فيها والفراغ الذي يشكونه ، ودليلنا علىٰ صحة سيرنا ما شهدت به الأعداء وما سجله التاريخ لأمتنا .

إن الفلاح كل الفلاح في الالتزام بالشرع . وفي الإعراض عنه الشقاء . فالأمير الذي اختاره أهل الاختيار وبايعوه علىٰ تطبيق الشرع والكتاب والسنة ، والذي التزمت ببيعته الأمة كافة ، تبايعه علىٰ السير وراءه وأخذ يده ليدفعها في السير في طريق شرع الله ، وعلىٰ الالتزام برأي أهل الشورىٰ والفقه ، وثبات علىٰ الحق .

ـ ومن الطرف الآخر فالجميع بايع الأمير والتزم معه بالسمع والطاعة في المنشظ والمكره ، وأثرة علىٰ النفس ، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن نرىٰ كفراً بواحاً لنا عليه من الله شاهد .

ـ فبطانة الأمير قد تستغل وضعها وتدس أنفها وتغير معالم الحق ليظهر بغير شكل فتضع بعض أوامر الأمير بشكل مغلوط ـ أو قد تتعسف في تنفيذ ما أمر به الأمير ـ أو قد تغوي الأمير ليقع في هذه الأخطاء بشكل أو آخر ـ أو قد تصدر ما لا يعرض علىٰ أهل الشورىٰ أو عرض بشكل ليس الذي صدر الخ ، كل ذلك سيجعل فجوة بين الحاكم والمحكوم قد تتوسع هذه الفجوة وتخرج الأمر عن مضمونه .

ـ فليس من مصلحة الأمة ولا يجوز أن تكون مجابهة أو اعتراض يؤدي إلىٰ الخروج عن الولاء للأسباب التالية :

١ـ إن وحدة الأمة هي في قوتها .

٢ـ إن الحاكم والمحكوم يعملان باتجاه واحد ولهدف واحد هو تطبيق شرع الله .

٣ـ إن تصرف الأفراد لا يصب إلا في مصلحة الأمة وغايتها تطبيق الشرع ولذا فلا يوجد سوء نية .

٤ـ إن ما يكون سبباً للخروج ليس إلا بسبب النص غير الموزون أو بسبب الفهم غير الصحيح للنص جعله غير متطابق مع الشرع .

٥ـ إن كل فرد من الأمة ملتزم بالنص إنما الطاعة في معروف[١] .

٦ـ إن من حق الأمير السمع والطاعة والولاء فيما لا يخالف الشرع .

٧ـ إن المسلم ملتزم بالنصيحة لقول الرسول الكريم « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولا إمة المسلمين وعامتهم »[٢] .

ومن النصيحة للإمام أن يُبيِّن له الخطأ وما يؤول إليه والصواب الذي كان الأولىٰ العمل به .

٨ـ إن النصيحة للأمير ليست خروجاً عن الولاء والطاعة ولكنها حق الأمير علىٰ رعيته : قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد خطب

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٦٦٥ .

(٢) « مشكاة المصابيح » ٤٩٩٦ ومختصر صحيح مسلم ١٢٠٩ .

بالمسلمين : ما ظنكم لو أملتُ برأسي هكذا . . وأمال برأسه فقام أحد الحاضرين وسل سيفه وقال : نقومك بسيوفنا هكذا . . فقال عمر الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا اعوججت قوَّمني . لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فيَّ إذا لم أسمعها[1] .

٩ـ إن بيان الخطأ ليس تحدّ لمنصب الخلافة ولكن لبيان أن الجميع يعمل لهدف واحد هو إرضاء الله وإعلاء كلمة الله وطلب الأجر من الله .

إن ربط حركة المحرك بالسيارة مع حركة العجلات هو بيد السائق فقط ، وربط محبة الأفراد وطاعتهم للأمير مع محبة الأمير للأفراد وولائهم له هذا الربط بيد الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] . فهو المطلع علىٰ الجميع ويقدر إمكانياتهم لذلك .

ـ ضمن هذه الجواء من المحبة والصراحة يقوم جيل لا يخاف من الدلالة علىٰ الخطأ ولا يقع بالخطأ « ويمثل ذلك التلاحم ما صوره رسول الله ﷺ في هذا المثال « إن قوماً ركبوا في السفينة فأخذ كل منهم موضع ، فكان الذين في الأسفل يخرجون لأعلىٰ السفينة ليملؤوا أوانيهم بالماء فقال بعضهم لو حفرنا عندنا وأخذنا الماء بدلاً من أن نخرج ونؤذي إخواننا ؟ فإذا أخذوا علىٰ يدهم نجوا جميعاً وإذا تركوهم هلكوا جميعاً »[2] .

فالإسلام ليس هو حكم الأكثريَّة ، ولكنه حكم الله الذي يقوم بتنفيذه كلٌّ حسب موقعه ، فكل إنسان مسؤول حسب موقعه ، ولا فضل لأحد علىٰ غيره إلا بقدر قيامه بمهامه ، يقول عليه السلام : « أنت علىٰ ثغرة من

---

(١) عمر بن الخطاب « أخبار عمر » للطنطاويّين .

(٢) مختصر صحيح البخاري ٥١٣٨ .

ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك » فلا يجوز لإنسان أن يتغاضىٰ عن الخطأ أو يتركه يمر بسلام .

والحاكم بالإسلام ليس يحكم كما تريد الأكثرية أو الحزب الحاكم ، وإنما يحكم الناس بشرع الله فلا يجوز أن تسن قوانين تخالف الشرع ودون رأي أهل الشورىٰ والفقه ، لأن « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » .

والحاكم أو الأمير مسؤول عن تعليم الناس أمر دينهم ، ليلتزموا ويكونوا مع الحاكم يداً واحدة ، تصافح وتسلم وتصفق وتضرب هدف واحد .

وإذا ما حصل أن قامت بطانة الأمير بدورٍ فاسد ، فلا بد أن يتنبه الناس والأمير إلىٰ موطن الخطر ، ولذا فعلىٰ المواطنين سلوك الطريق القويم وتتبع السلوكيات التالية :

١ـ استخدام الكلمة الهادفة ذات الأسلوب اللين : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] هذه الكلمة تقال في أول الخطأ بحيث تثني علىٰ الإيجابيات وتشير بشكل بسيط إلىٰ السلبية ليتم تداركها ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] فلا يجب أن يمر الخطأ دون تنبيه .

٢ـ القدوة الحسنة : إنها وسيلة تعليمية لدفع الخطأ المرتكب عن غير قصد .

فلا بد لذكر صاحب التصرف المثالي أمام الذي يتصرف خطأ . كما لا بد من الثناء علىٰ الأول وإلحاق الثاني به ، لأنه في المهمة أو الشريحة المطبقة نفسها حتىٰ يخجل بنفسه .

٣ـ استخدام الحيلة : ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[١] . [النساء : ٩٨] والمراد بالحيلة التحايل للتخلص من موقف صعب ، (موظف يطلب رشوة) أو أي عمل يخالف الشرع (كالتخلص من تنفيذ أمر ما مخالف) ـ وهو العمل الذي يتحول به فاعله من حال إلىٰ حال ، وغلب عليها في العرف سلوك الطريق الخفية للوصول إلىٰ الغرض بحيث لا يُفطن له إلا بنوع من الذكاء ـ والفطنة والحيلة منها :

آ ـ المباحة وهي التي تؤدي لفعل الواجب وترك المحرم .

ب ـ المحظورة وهي التي تبطل الحقوق وتسقط الواجبات وتستحل المحارم والناس تذم أرباب الحيل ، وكذلك العاجز الذي لا حيلة له ، فالأول مخادع والثاني عاجز مفرط .

والممدوح هو الذي له خبرة بطريق الخير خفيها وظاهرها ، ويعرف طريق الشر الظاهرة والخفية التي يمكن أن يخدعوه بها ويمكرون له بها ، وكان حذيفة بن اليمان الصحابي أعلم الناس بالشر والفتن ليتقيها .

ـ يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « لست خباً ولا الخب يخدعني »[٢] .

٤ـ الكيد : والمشروع منه أن يلهمه الله أمراً مباحاً يوصله إلىٰ المقصود يستطيع أن يبلغ الأمر لمن يلزم تبليغه وهكذا ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ [يوسف : ٧٦] فقد دفع إخوته ليقولوا أن جزاء السارق أن يؤخذ بسرقته ، حتىٰ يأخذ أخوه الذي أثبت عليه السرقة ، ومن

---

(١) « أعلام الموقعين » ٣/ ٢٥٣ .

(٢) أخبار عمر » للطنطاويين .

الكيد المراد به إزالة شر ما جرىٰ في قصة رجل جاء لرسول الله ﷺ أن جاره يؤذيه ، فأمره رسول الله ﷺ أن يطرح متاعه في الطريق فجعل كل من مر عليه يسأله عن شأن المتاع فيخبره أن جاره يؤذيه فيسبه الناس ويلعنونه ، فجاء إليه جاره فقال له : رد متاعك فو الله لا أوذيك بعد ذلك أبداً[١] .

٥ـ **المعاريض**[٢] : وهي التكلم بكلام جائز يقصد به معنىٰ صحيحاً ويوهم به غيره فيكون سبب الوهم أن اللفظ مشتركاً إذا كان المقصود به رفع الضرر أو التخلص من مخالفة للشرع مقصودة كقول الرسول الكريم عندما سئل ممن القوم ؟ فأجاب : « من ماء »[٣] ، وكقول الصديق عندما سئل عن الرسول ؟ قال : هادٍ يهديني السَّبيل[٤] والضابط فيه ما حرم بيانه فالتعريض فيه جائز . وهي لم تشرع إلا لمحتاج إليها ولمن لا يسقط بها حقاً ، ولا يضر بها أحداً ، وتكون بالقول أو بالعمل أو بالقول والعمل .

٦ـ **الثبات علىٰ الحق** : ويكون بالصبر علىٰ الأذىٰ الذي يتعرض له المسلم والإمساك عن الدفاع ضد العدوان خشية أن يتطور هذا الدفاع إلىٰ صدام يخرج المسلم عن طاعة أولي الأمر . ولقد عذب المسلمون في مراحل كثيرة من الدعوة ، وكانت كلمات الرسول الأعظم هي رائدهم : « لقد كان من قبلكم ليمشط بمنشار الحديد وما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه عن ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار علىٰ مفرق رأسه فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتىٰ يسير

---

(١) « السيرة الحلبية » ٣/ ٢٥٣ رواه الإمام أحمد في مسنده .
(٢) « أعلام الموقعين » ٣/ ٢٥٢ .
(٣) « السيرة الحلبية » ٢/ ٣٨٧ .
(٤) « السيرة الحلبية » ٢/ ٣٨٠ .

الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب علىٰ غنمه »[1] .

إن هذا الموقف يفوت فرصة علىٰ الذين يخادعون الأمير بأن الشعب يرضىٰ بما يخالف الشرع ، أو أنه لا يعارض بما يصدر مخالفاً للشرع فتكشف حقيقتهم ، لأنه ما من حاكم يريد أن يقهر شعبه ، ولكن هذه سياسة ورغبة أصحاب المصالح من البطانة السيئة التي توغر صدر الأمير بالشعب وتسيء سمعة الأمير بين الشعب ـ والتأسي بالإمام أحمد بن حنبل في هذه الحالة هو الصواب ، فقد كان وزير المأمون هو الذي يدك الأسفين بين الخليفة والأمة ، وهو سبب الفتنة ، ولكن حكمة الإمام أحمد أفسدت عليه الأمر .

٧ـ **الابتعاد عن المنتفعين والفاسدين** : برفض التعامل معهم أو التكلم معهم وعزلهم وجعلهم نكرة ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود : ١١٣] وإن التعامل مع الزبانية والفاسدين والمنتفعين مما يشجعهم ويفسد أخلاق المجتمع ويوقع الأمة في متاهات فلا بد من إهمالهم ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الأنعام : ٧٠] وهذا سيسبب عزلهم من الأمير وإبعادهم عن مواقع المسؤولية وبذا يوقف هذا السرطان من جسم الأمة .

٨ـ **التعامل مع الصادقين المخلصين** : لأنهم مخلصون لله وللأمير والأمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ

---

(١) صحيح البخاري ٣٢٠ باب ما كان يلقىٰ رسول الله والمؤمنون في الدعوة .

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف : ٢٨] كل هذه الأمور ستكون وسيلة ناجحة إذا كانت بنية مخلصة لله .

٩ـ **والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** : هو سمة المسلم أينما وجد ، وسمّه أمة الإسلام ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] والرسول الكريم يقول : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم »[١] ، ولعن الله الأمة التي لا تقوم بهذه المهمة قائلاً : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ـ٧٩] .

هذه الفريضة السادسة في الإسلام لها دور كبير في مجتمع الأمة الإسلامية وإذا فقدت هذه الشعيرة من الأمة استفحل الشر وزاد شراره فأحرق الأمة بنار الفساد ولم يعد لدىٰ الأمير ميزان ليقيس الأمور بها الصح والخطأ . وهو مؤشر يحدد درجة تماسك الأمة ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ١١٦] .

ـ وقيامه بين المؤمنين جزء من التكافل العام ويزداد إلىٰ درجة يصل بين الأمة والفئة الحاكمة . وهو دليل أمان (صمام أمان) من عقاب الله ، لأن الأمة إذا لم تكن كتلة واحدة فهي فئات متناحرة .

إن هذه المرحلة المتقدمة بالنسبة للمراحل الأولىٰ تبقىٰ في مجال القول والأمر والنهي وتأتي المرحلة الأخيرة مرحلة العمل باليد ، لأنه من

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٣/ ١٥٤٠ .

كان آمراً بالمعروف فليكن أمره بمعروف ، أي بالكلام الحسن واللهجة المستحبة وبطريقة التودد .

ولا بد في الأمر بالمعروف أن يكون المعروف المأمور به معروفاً من الجميع لا خلاف علىٰ معرفته ، وكذلك المنكر أن يكون معروف أنه منكر من جميع الأمة ولا خلاف في الرأي في أنه منكر . ولا بد من أن تكون الحكمة في موضعها . ومن الحكمة استشارة أهل العلم والرأي في هذا الموضع .

١٠ـ **تغيير المنكر** : وهذه أعلىٰ مراحل الإصلاح ، يقول عليه السلام : « من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك من الإيمان حبة من خردل »[1] وتعني كلمة (منْ) أي لجميع الأمة أي إنسان كبير أم صغير امرأة أو رجل . . فليس الأمر لفئة من الناس بل لجميع الأمة .

وكلمة (رأىٰ) فلا بد من رؤية المنكر ولا يجوز اعتبار المنكر بالسماع أو بالظن بل لا بد من المعاينة . ثم كلمة (منكم) أي من الأمة الإسلامية ، فلكل أمة منكر ، ولكن المنكر الذي تنكره أمة الإسلام وهذه الخاصية فقط لأمة المسلمين أما كلمة منكراً والمنكر أنواع من الأعمال ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩] ومنكر القول : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ [المجادلة : ٢] والمنكر هو ما أنكره الله في شرعه لأنه تعالىٰ يقول ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل : ٩٠] وأما كلمة (يغيره) فتعني العمل فيه بتغيير معالمه أو وجهته أو إزالته ليكون مغايراً ، وهذا عمل شاق يقوم به المؤمن ، ولذا فالأجر عند الله كبير .

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٣/ ٥١٣٧ .

١ـ **والرأي الأول في هذا المجال** : أن درجات التغيير هذه تتبع الحال ، فيكون تغيير المنكر باليد لصاحب السلطة في الذين في إمرته : الأب في بيته ، والمدرس في تلاميذه ، وأمير الجند لجنده ، وأمير المصر في مصره . ورب العمل في عماله . . إلخ ، أما باللسان فهو للذين في مستوىٰ الداعي إلىٰ التغيير كل قرين مع قرينه ، والإمام في مسجده ، حيث لا يكون له دالَّة إلا بالصحبة والمحبة وأما بقلبه فهذا دور الأدنىٰ للأعلىٰ ، الولد لوالده ، المرؤوس لرئيسه ، لأن الأمر قد يترتب عليه أذىٰ ومضرة أكثر من النفع إذا كان الداعي ضعيفاً أمام أقوياء : ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود : ٨٠] .

٢ـ **أما الرأي الثاني** : فهو أن المنكر نكرة مفرد ، ومنكم أنتم أي مجموعة ، لذا فلديكم القدرة علىٰ تغييره أو إزالة معالمه أو حرفه عن مساره ليغاير عمله من منكر إلىٰ أن يصير غير منكر ـ بيده لأن اليد هي وسيلة التغيير سواء بالفعل باليد أو بجميع الوسائل التي تحت يده (يركله بالقدم مثلاً) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] أي بقدرتي وبعنايتي المباشرة بيد القدرة ، وليس عن طريق شيء أو بواسطة ، وهكذا بيده ، أي ليس عن طريق آخر أو بمجرد الأمر أو مجرد الإعلان بل بيده مباشرة .

ـ فإن لم يستطع وهذا دليل بذل كل جهد دون أن يجدي لأن المنكر أقوىٰ وأعتىٰ .

وبذل كل استطاعة حتىٰ يتأكد أنه خارج الاستطاعة « استعن بالله ولا تعجز ، ولا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قدَّر الله وما شاء الله فعل »[١] .

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٧٨٤ .

« إن الله يلوم علىٰ العجز ولكن عليك بالكيس »[1] ، هنا عليك بالاستعانة بالآخرين فتنادي بلسانك وتطلب معونة الآخرين الذين رأوه ولم يستطيعوا أو عجزوا ليدل عليه ويشترك الجميع في تغييره وإذا لم تكف الاستطاعة باليد واللسان في أن يغير أو يبيِّن للآخرين بشكل كافي فلا بد هنا من أن يعزم بقلبه علىٰ إزالته ويعاهد الله أن يتركه حتىٰ يغيره .

وهكذا فوحدة الهدف تجعل الأمة في إحداثياتها المختلفة ومواقعها البعيدة تلتقي وتقترب كلما تحركت ، والعكس إذا اختلفت الأهداف فالمتقاربون كلما تحركوا تباعدوا ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

فكيف حال أمة أهدافها مختلفة ومنازلها متباعدة . . ؟ هذا هو وضع أمة الإسلام اليوم .

إن أهل الشورىٰ وأهل البطانة الصالحة يجب أن ينصحوا للأمير ليكون مساره وهدفه واحد مع أهداف ومسار الرعية بدلاً من أن يكونوا في شقاق ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص : ٥٠] .

هذا وإن إنكار المنكر وتغييره قد يفرز ما هو أنكر منه وأبغض إلىٰ الله ورسوله ، فالإنكار علىٰ الأمراء والحكام بالخروج عليهم فيه شر كبير ، لأنه قد يزول المنكر ويخلفه ضده ـ أو أن يقل وإن لم يزل بجملته وهذان صنفان مشروعان أما إذا خلفه أشرٌّ منه أو مثله فهذا يبرر لنا لماذا لا تقام الحدود في حالات . فلا تقطع يد السارق في المجاعة ، ولا يقام حد الزنا في أرض العدو . . إلخ .

إن الإسلام لا يسمح بأن تتشتت طاقات الأمة ، بل تبقىٰ كتلة وحادة

---

(١) مختصر صحيح مسلم ١٦٥ .

تسير لهدف واحد ، الأمير في المقدمة قدوتها ، ورائدها ، وأسوتها رسول الله والجميع علىٰ طريق واحد ـ أهل الشورىٰ والفقه وأمراء الأمصار والأجناد وجهاز القضاء والتعليم ومن يعمل في أمور الخزانة والجباية ـ فلا يُشرِّفُهم المنصب ولكن هم بعملهم يهبون للمناصب قيمتها : فالناس لا تعمل لشخص ، وليكن لرضىٰ الله كما قال الشاعر حافظ إبراهيم على لسان خالد بن الوليد عندما عزله عمر بن الخطاب : إننا نجاهد كي يرضىٰ الجهاد بنا ولا نجاهد كي يرضىٰ بنا عمر ـ فلا أنانيات ولا مصالح شخصية يفرزها الإيمان بل يكون دور الحاكم في زيادة الترتبية الدينية والالتزام بما يزكي النفس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩] .

فالنصح والتأييد من طرف والتوجيه من جهة أخرىٰ :

ـ والرسول الكريم يقول « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »[1] ، عند السلطان الجائر تقال كلمة الحق وليس كلمة حقد أو تعنيف . كلمة تبين الحق والوصول إليه وليس كلمة نقد أو كلمة إساءة ، فإذا وجد السلطان الجائر فلا ينقد ولا يخرج أحد عن سلطانه ، ولكن تبين له كلمة الحق التي يرضىٰ بها كل إنسان محقاً كان أو غير محق ، ولا تقال كلمة وراء الجدران قول الكلمة تعبدية ، عبادةٌ وطاعةٌ لله تبين للأمير وجهة النظر الصحيحة (بناء ليس سلبياً ولكن يبين السبيل الحق والعمل الحق والقول الحق) أما إذا كان تصرف الأمير فيه ظلم لإنسان ما فليس هذا الظلم سواءً اعتبر متعمداً (وهذا بعيد الاحتمال) أو غير متعمد فإنه ليس مبرراً للخروج علىٰ الأمير لأن ظلم ما بحق فرد قد يكون الفرد شاعراً به وهو يبالغ في تقديره ، ولكنه ليس ظلماً للمجموع « لو أكل مالك ولو جلد

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٧٠٥ .

ظهرك »[1] ، فلا يضر بالمصلحة العامة لذا فلا داعي للتحدث فيه لأنه لا يعدُّ هضم حقوق شخص ما جوراً أو حنقاً من الأمير . أما المبرر لعدم السمع والطاعة فهو عندما يكون الأمر يخالف الشرع بالنص ففي هذه الحالة فقط لا خروج عن الطاعة ، ولكن لا سمع ولا طاعة فقط في هذا الأمر بالذات ، حتىٰ يكون هناك مؤشر للأمير أن مسيرة الأمة ليست كما يريدها الله لإقامة دين الله ، وعند ذلك يعيد الأمير النظر فيما أصدره ويرفعه إلىٰ أهل الشورىٰ وأهل الفقه لتعديل ما صدر ويزول الإشكال .

ـ بعث رسول الله ﷺ بسرية أمر عليها شاب من الأنصار هو عبد الله بن حذافة من قيس بن عدي فلما خرجوا وجد عليهم في شيء . فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلىٰ ، قال : فاجمعوا لي حطباً ودعا بنار فأضرمها فيه ثم قال : لقد عزمت عليكم لتدخلنها ، فقال لهم شاب منهم : إنما فررتم إلىٰ رسول الله من النار ، فلا تعجلوا حتىٰ تلقوا رسول الله ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، فرجعوا إلىٰ رسول الله فأخبروه ، فقال لهم : « لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعة في معروف »[2] .

وقد ظهرت بدعة غريبة دخلت بعض بلاد المسلمين مؤداها أن تتجمع جماعة (حزب أو عدة أحزاب أو جماعات) وتخرج عن الحاكم وتسمي نفسها معارضة ، أو قد تخرج إلى بلاد أخرىٰ ليست لها علاقة بالإسلام بل تضمر لأهله السوء وتنظم أعمالها وتهيء لقيام ثورة تطيح بالنظام بادعاءات مختلفة ولتعود فتستلم زمام الحكم . إن هذا العمل لا يرضىٰ عنه الله

---

(١) تتمة الحديث اسمعوا وأطيعوا . . . « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٦٦٣ .

(٢) « مشكاة المصابيح » ٣٦٦٥ وصحيح مسلم ١٨٤٠ .

وليس من الإسلام في شيء ، إنه بدعة أهل الضلال كي يطلع أعداء الإسلام علىٰ عورات المسلمين ويتدخلوا في شؤونهم ويكون لهم رأي في سياستهم ، فأي أمل بأن يكون في هذا العمل خير للمسلمين وما هي التنازلات التي ستقدم مقابل ما ستلقاه هذه المعارضة من دعم من تلك الجهات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة : ٥٧] . يقول عليه السلام : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن هذه الأمة جعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمور ينكرونها ، وتجيء الفتن فيرفق بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه . فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت الناس الذي يحب أن يؤتىٰ إليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده فليعطه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فأضربوا عنق الاخر »[1] ، إن ما يسمىٰ معارضة منظمة سواء داخل أو خارج البلاد تعمل في الظلام لتأليب الشعب بسبب أو دون سبب علىٰ الحاكم فتعقد صفقات لا يرضىٰ عنها الله . ولو أدت النصح لأفادت وكسبت رضا الله .

فالالتزام بشرع الله والصبر علىٰ ظلم الحاكم والعمل الجاد الدؤوب لإصلاح الفساد بالوسائل التي أقرها الشرع أفضل ألف مرة من الخروج علىٰ الأمير أو الحاكم ومخالفة شرع الله (الذي يأمر بالسمع والطاعة) بدل تفتيت جهد الأمة .

ـ فالأول مؤيد من الله والثاني في سخط الله ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ

---

(١) مختصر صحيح مسلم ١٦٨ .

ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٦] يقول عليه السلام : « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان ، وإن من أعظم الغدر بعد الارتداد عن الإسلام أن يبايع رجلاً إماماً علىٰ بيعة الله ورسوله ثم ينكث ببيعته . فلا يخلعن أحدكم يداً من طاعة ، ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر يكون فصل بيني وبينه »[١] ويقول عليه السلام : « من رأىٰ من أميره ما يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية »[٢] .

ويقول : « لا تقوم الساعة حتىٰ تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم »[٣] ـ إن الله قد غطىٰ حقائق الأشياء عن أبصار العباد بما يرونه من تعلق الأسباب بالمسببات فالمستبصر يشهد حكمة الله تعالىٰ في وضع المسلمين وأمره ونهيه وكرهه . فالله يبتلي الأمة بأمور ليراها كيف تنفذ أوامره التعبدية ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٢٩] وليس لتخترع طريقة خارجة عن أمره ونهيه أو دفعتها إليها العلمانية الجاهلة حسداً من عند أنفسهم . فالذي يهم المسلم أن يعرف المطلوب منه في كل موقف فرضه الله ووقع بإذن الله وإن يكن مما يكرهه . فليس المطلوب من المسلم تغيير ما وقع ولكن مطلوب منه البحث عن تنفيذ أمر الله الواجب فعله فيما وقع وهذا يعيدنا إلىٰ المطلوب اليومي للمسلم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة : ٦] الذي سلكه الأنبياء ومن سار علىٰ نهجهم وليس الذي تزينه شياطين الإنس والجن ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : ٧] ولو رجعنا إلىٰ السيرة ووقفنا علىٰ أدب الرسول مع الله نجده لا يتصرف إلا بإذن من الله لا كما يراه من نفسه .

---

(١) « مشكاة المصابيح » ٢/ ٣٧٢٥ .
(٢) « مشكاة المصابيح » ١/ ١٧٥٠ .
(٣) « مشكاة المصابيح » ١/ ١٧٥٠ .

فيوم الحديبية عندما كانت شروط الصلح مجحفة بحق المسلمين كما رآها بعض الصحابة ، لم يقدم رسول الله رأي ، وإنما كان يوقع على الصحيفة كما أُمر وهكذا يجب أن نكون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١] .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

* * *

الخاتمة

لقد جمعت هذه النتف من صورة المؤسسة الإسلامية أثناء انقشاع بعض السحب في يوم شاتي إثر هطولات متقطعة .

لذا فأستميح العذر من القارىء الكريم إذ لم تتكمل اللوحة معالمها ، ولم يظهر بريقها بالمقارنة مع المؤسسات المادية المنتشرة على أرض الواقع ذات المظهر البراق ، لذا فالمقارنة بالظاهر قد لا تعجب ، ولكن قراءة بالمضمون سوف توصل القارىء للحقيقة .

المؤلف

ملحق

عهود الدولة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش علىٰ ربعتهم يتعاقلون بينهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف علىٰ ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولىٰ وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار بني ساعدة وبني النجار وبني جشم ، وبني عمرو بن عوف ، وبني النبيت إلىٰ أن قال : وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً (المثقل بالدين الكثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل ، ولا يحالف مؤمن مولىٰ مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين علىٰ من بغىٰ منهم أو ابتغىٰ دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين . وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ينصر كافر علىٰ مؤمن .

ـ وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ـ وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ـ وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ـ وإن سلم المؤمن واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا علىٰ سواء وعدل بينهم ـ وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً ـ وإن المؤمنين يبيء (يساوي) بعضهم

بعضاً بما نال دمائهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين علىٰ أحسن هدىٰ وأقومه ، وأنه لا يجبر مشرك مالاً لقريش لا نفساً ولا يحول دونه علىٰ مؤمن ، وأنه من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإن قود به إلىٰ أن يرضىٰ ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو أواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلىٰ الله عز وجل وإلىٰ محمد ﷺ . وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين وما داموا محاربين . وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم فإنه لا يوتغ (لا يوبق ولا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته . وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني الشطنه مثل ما ليهود بني عوف وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ولا ينحجر (تحجر جرحه للبرء) علىٰ ثار جرح ، وإنه من فتك بنفسه إلا من ظلم ، وإن الله علىٰ أثر هذا وإن علىٰ اليهود نفقتهم وعلىٰ المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر علىٰ من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفة . وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرام حرفها (أو جرفها موضع قرب المدينة) وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو أشتجار يخاف فساده فإن مرده إلىٰ الله ولآل محمد رسول الله ، وإن الله علىٰ من أنفىٰ ما في هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر علىٰ من دهم يثرب إذا دعوا إلىٰ صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه وإنهم إذا دعوا إلىٰ مثل ذلك فإنه لهم علىٰ المؤمنين إلا من حارب في الدين علىٰ كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو

آثم ، وإنه من خرج أمن ومن قعد أمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم وإن الله جار لمن بر واتقىٰ .

هذه الصحيفة لا تحتاج إلىٰ تعليق سوىٰ :

ـ أنها تتناول تحديد الأمة : أنها مجموع من آمن بالله واليوم الاخر وأسلم .

ـ تكافؤ أفراد الأمة وتعاونهم علىٰ البر والتقوىٰ وعلىٰ دفع الظلم والأذىٰ .

ـ إن قيم المؤمن وأخلاقه لا تتساوىٰ لا مع قيم الكفار ولا مع أهدافهم ﴿أفنجعل المتقين كالفجار﴾ .

ـ إن كل مؤمن يمثل جميع المؤمنين ويجير باسمهم لا فرق في ذلك بين إنسان وآخر .

ـ لا يخون المؤمن المؤمنين فيساعد أهل الباطل ويتعاون معهم .

ـ لا شيء يحكم المؤمن غير ما أنزل الله وما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام .

ـ ليس لفئة مؤمنة تنفرد عن باقي المؤمنين بسلم أو حرب أو صلح منفرد .

* * *

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم ـ وتفسير ابن كثير ـ القرطبي ـ الجلالين .

٢ـ الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهائها ـ تحقيق للألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٠هـ .

٣ـ الإسلام وأصول الحكم ـ علي عبد الرزاق ـ القاهرة ـ ١٩٢٥م .

٤ـ الأحكام السلطانية ـ أبو الحسن الماوردي .

الأحكام السلطانية في الولايات الدينية أبو يعلىٰ الفراء ـ مطبعة البابلي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٣٨م .

٥ـ الإمام البخاري وصحيحه ـ د . عبد الغني عبد الخالق ـ دار المنار ـ جدة ١٤٠٥هـ .

٦ـ أخبار عمر وعبد الله بن عمر ـ الطنطاوي ـ دار الفكر ١٩٥٩م .

٧ـ الأعلام ـ قراءة في الأعلام المعاصرة ـ د . منير سعد الدين ـ دار بيروت المحروسة ١٩٩١م .

٨ـ أبو بكر الصديق ـ علي الطنطاوي ط٢ .

٩ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٧٣م .

١٠ـ البداية والنهاية ـ لأبي فداء الحافظ بن كثير ـ دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨هـ .

١١ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ لابن رشد القرطبي ـ مكتبة الكليات الزهرية ـ القاهرة ١٣٨٩هـ .

١٢ـ تاج العروس ـ شرح القاموس ـ الزبيدي ط١ .

١٣ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ـ دار المقارن ـ القاهرة ١٩٦٠م .

١٤ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ـ تحقيق محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة المدني ـ القاهرة ـ ١٩٦٤م .

١٥ـ حياة الصحابة ـ محمد يوسف الكاندهلوي ـ دار المعرفة ـ بيروت .

١٦ـ دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين ـ د . منير سعد الدين ـ دار بيروت المحروسة ـ ١٩٩١م .

١٧ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام ـ أبو الحسن الندوي ـ دار القلم والتوزيع ـ الكويت ـ ١٤٠٩هـ .

١٨ـ رسائل البلغاء ـ جمعها محمد كرد علي ـ طبع البابلي ـ القاهرة ـ ١٩١٣هـ .

١٩ـ الرسول والعلم ـ يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٩١م .

٢٠ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة (بالسيرة الحلبية) لنور الدين الحلبي ، أبي الفرج نور الدين علي بن إبراهيم .

٢١ـ سيرة عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزي ـ دمشق .

٢٢ـ شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحفني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ .

٢٣ـ العقيدة ـ محمد أبو زهرة .

٢٤ـ العبادات في الإسلام يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٢٥ـ فتح الباري علىٰ صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت .

٢٦ـ الفكر المادي الحديث و موقف الإسلام منه ـ د . محمود عثمان ط٢ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٤م .

٢٧ـ قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ـ الشيخ نديم الجسر ـ ط٣ ـ دار العربية ـ المكتب الإسلامي .

٢٨ـ لا شيوعية ولا استعمار ـ عباس محمود العقاد ـ دار الهلال ـ ١٩٧٥م .

٢٩ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري ـ تحقيق الألباني ـ المكتب الإسلامي بدمشق ـ ١٣٩٧هـ .

٣٠ـ مشكاة المصابيح ـ الخطيب التبريزي ـ تحقيق الألباني .

٣١ـ مختارات الأحاديث النبوية ـ أحمد الهاشمي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٨هـ .

٣٢ـ مذكرة ابن حمدون ـ بن حمدون ـ مطبعة النهضة ـ قاهرة ١٩٢٧م .

٣٤ـ مقدمة ابن خلدون ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨٢م .

٣٥ـ المغني ـ لابن قدامة المقدسي ـ عبد الله بن أحمد ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض .

٣٦ـ مختار الصحاح ـ أبو بكر الرازي ـ طبعة حديثة ١٤٠٠هـ .

٣٧ـ الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ـ أبي إسحاق بن إبراهيم محمود اللَّخمي ـ دار الفكر ـ بيروت ١٣٤٠هـ .

٣٨ـ مدخل التربية في ضوء الإسلام ـ عبد الرحمن االباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٣٩ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب للمقري ، تحقيق د . إحسان عباس ـ بيروت ١٣٨٨هـ .

٤٠ـ نظام الإسلام والحكم والدولة ـ محمد المبارك ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٤م .

٤١ـ منهج النقد في علوم الحديث ـ د . نور الدين العتر ـ دار الفكر ـ دمشق ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

٤٢ـ النظام الاقتصادي في الإسلام ـ أحمد محمود العسال وفتحي عبد الكريم ـ مكتبة وهبة القاهرة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٣م .

* * *